جرائم التعذيب: إستراتيجية أمريكية بامتياز 2-2

04-5-2005

استخدام الطائرات كمراكز تحقيق مع المعتقلين، حيث لا يوجد أحد يطبّق عليهم أي قانون وهم في السماء ولا أحد يراقبهم، وقد كشفت مجلة 'نيوزويك' الأمريكية الأسبوعية عن أن وكالة المخابرات المركزية(CIA) استخدمت طائرات بوينج 737 في استجواب من تسميهم واشنطن 'الإرهابيين المشتبه فيهم' كجزء من نظام سجن الأشباح العالمي. وكانت تقارير إعلامية عديدة أشارت إلى أن وكالة مخابرات تستخدم طائرة نفاثة تجارية، كمراكز تحقيق، ودعمتها تقارير حديثة بأن طائرة نفاثة صغيرة، كانت جزءا سريا للغاية، ضمن وسائل الاستجواب التي استخدمت في الحرب على 'الإرهاب'

بقلم علي حسين باكير

* نماذج من التعذيب المستخدم من قبل "العالم المتمدن" في أبو غريب:

تعجز الكلمات عن وصف هول جرائم التعذيب التي مارستها قوات الاحتلال الأمريكي في سجن ابو غريب في العراق، والتي لو ارتكبتها أي دولة من دول البلدان النامية والعالم الثالث، لكان رد الفعل الدولي وبالذات الأمريكي والأوروبي الإدانة والتنديد والإجراءات العقابية للنظام المعني، بل وقد يصل الأمر إلى تحرير ذلك البلد دفاعا عن الإنسانية!!، ولكانت الإدارة الأمريكية تحدثت عن تفوقها الأخلاقي والحضاري كونها "رائدة العالم الحر". وأتذكّر في هذا المجال كيف راحت المنظّمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتّحدة، والدول الأخرى لاسيما أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول تتحدّث عن تفوّقها وسموّها الحضاري ودفاعها عن حقوق الإنسان وحتى الحيوان وتتّهم المسلمين بالتخلّف والانحطاط، حيث قامت الدنيا ولم تقعد لمجرّد أنّ نظام طالبان وضع دبّابة أمام "تمثال حجري" (مع العلم أن الهدف من قيام طالبان بذلك لفت انتباه العالم إلى تلك الدولة والحصار المفروض عليها ليقولوا إننا هنا لماذا لا يسمع أحد؟ ويبدو أنّ الجميع قد سمع ورأى حينها، ولكن من الزاوية الأمريكية) أمّا الجرائم في سجون أبو غريب وغوانتنامو وأفغانستان (لا نتكلم عن كل الجرائم، فهي أكبر من أن تذكر أو أن تحتويها الكتب والمجلدات بل المكتبات) فهي مسألة لا تتعدى الاعتذار كحد أقصى، ثمّ تعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل، لا بل تستكمل عمليات التعذيب والاعتقال والاغتصاب والشذوذ والهتك التي تعبّر عن الحضارة الغربية ومجتمعاتها المنحلّة أخلاقيا إلى درجة الانحطاط في الدرك الأسفل بين جميع أمم و شعوب الأرض لدرجة يندى لها جبين الإنسانية والتاريخ. فضرب تمثال حجري أمر لا يغتفر.....ولكنّ التعذيب الأمريكي (على النحو الذي سننقله) بحق الشعب المسلم مسألة فيها نظر، ومهما قلنا فلن نعبّر عن جزء بسيط جدّا ممّا جرى، ولكن لتوضيح الصورة أكثر ننقل لكم بعض طرق وأشكال وأساليب التعذيب التي تمّ إتباعها في "ابو غريب" وأمثاله:

فقد كشف تقرير أعده الجنرال الأمريكي أنطونيو ثاغوبا ونشرته مجلة نيويوركر (العام الماضي) عن اعتداءات وممارسات سادية بشكل ممنهج ضد المعتقلين العراقيين، بعد أن كانت شبكة سي.بي. إس التلفزيونية الأمريكية وصحيفة الواشنطن بوست أوّل من كشفتا النقاب وبالصور عن عمليات التعذيب غير الأخلاقية والساديّة التي تمارسها قوات الاحتلال الأمريكية ضد المعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب، و يقول التقرير: حدثت ممارسات سادية وجرائم في سجن أبو غريب بين شهر تشرين أول وشهر كانون أول من العام الماضي، وقام بهذه الممارسات جنود من كتيبة الشرطة العسكرية رقم 372 وعدد من عناصر أجهزة المخابرات الأمريكية و انتهاكات كبيرة منها:

- كسر الأضواء الكيماوية وسكب السائل على المعتقلين.

- سكب المياه الباردة والساخنة على المعتقلين بعد تعريتهم.

- ممارسة اللواط بحق المعتقلين وإجبارهم على تمثيل مظاهر جنسية ضد بعضهم البعض.

- إجبارهم على ممارسة العادة السرية.

- تعرية المعتقلين وإجبارهم على النوم فوق بعض

- إدخال أضواء كيماوية في دبر المعتقلين

- إبقاء المعتقلين عراة لعدة أيام

- ضرب المعتقلين بمقابض المكانس والكراسي

- إجبارهم على التعري ولبس ملابس نسائية داخلية

- ربط رقاب المعتقلين وهم عراة بحبل وجرهم وهم مقيدين

- حرمانهم من النوم

- استخدام الكلاب العسكرية لترويع المعتقلين وعضهم

- اغتصاب النساء المعتقلات.

وقد أضاف سيمون هيرش في تقريره في (1-5-24) على هذه الأنواع من التعذيبات نوع آخر نقلا عن ثاغوبا أيضا و منها:

- سكب سوائل فسفورية على المحتجزين

- ضرب المحتجزين بالكراسي و المطارق اليدوية

- السماح للحرس بغرز الجراح الجديدة نتيجة التعذيب

- ضرب السجناء بجدران السجن

- انتهاك عرض المساجين بكافة الطرق لاسيما إدخال عصي المقشات في دبر المعتقلين

- ربط الأماكن الحساسة للمعتقلين بالأسلاك الكهربائية والتهديد بتشغيلها.

وينقل إضافة إلى ذلك شهادتين عن مجندين حضروا التعذيب، فيقول الأوّل: رأيت زملائي وقد أجبروا محتجزين عراقيين على التعري وغطّوا رؤوسهم وأجبروا أحدهم على الاستمناء والآخر على فتح فمه، ثمّ قالوا لي "هل ترى ماذا تفعل هذه الحيوانات عندما نتركها لبضع دقائق؟!". هذا فيما قال الثاني: لقد تعرّض أحد المعتقلين المصنف على أنه خطير جدا إلى ضرب مبرح على أيدي رجال الاستخبارات، وأدى ذلك إلى موته، وبدلا من التعريف به وإعطائه رقم السجين، تمّ وضعه في كيس مليء بالثلج ثمّ أخذوا يلتقطون الصور معه!!

هذا ولم يعتمد جنود التحرير الأمريكي على قدراتهم الخاصّة بفي لتعذيب فقط، بل واستجاروا بأساتذة التعذيب الصهاينة واستأجروا المستشارين منهم والمعذّبين والمحققين ليشاركوهم ساديّتهم وحقدهم على المسلمين، فقد أكّد عدد من المعتقلين العراقيين الذين أطلق سراحهم من "أبو غريب" أنهم خضعوا للتحقيق أمام رجال الموساد، وقد عرفوا ذلك من خلال نوعية الأسئلة التي كانوا يطرحونها عليهم وعن مناطق وأماكن عراقية كانت تضم معالم يهودية مقدسة واستطاع بعضهم وخاصّة المضطلع على اللغة العبرية تمييزها في أثناء حديث المحققين فيما بينهم، على الرغم من حرصهم التحدّث بالانجليزية في غالب الأحيان، ولا نستبعد ذلك أبدا خاصّة أن هذا حصل حتى في غوانتانامو، فقد ذكرت "اورلي ازولاي كاتس" الإسرائيلية في تقرير لها نشر في صحيفة يدعوت أحرنوت 25/2/ 25 أن المحققين الأميركيين حاولوا كسر إرادة أسير سوداني في غوانتانامو من خلال إلباسه العلم الإسرائيلي عنوة، فيما قاموا بربط أسرى آخرين بأيديهم وأرجلهم حتى غرقوا ببولهم وبرازهم طيلة 18 إلى 24 ساعة. وأكد التقرير أن الأسرى العرب والمسلمين هناك لا يعلمون هوية مكان اعتقالهم ما يمكن المحققين الأميركيين بتهديد من يرفض الإدلاء بمعلومات حول القاعدة خلال استجوابه بتسليمه للإسرائيليين من خلال نقله إلى ثكنة مجاورة يرفع فيها العلم الإسرائيلي مسبقا، لافتة إلى أن الطريقة "مجدية". وأفاد التقرير أن مترجمًا أمريكيا عمل في المعتقل يعدّ كتابا يكشف فيه المزيد من فظاعات غوانتانامو منها مهاجمة الأسرى بغاز الفلفل وقيام محققة بخلع ملابسها أثناء التحقيق مع أسير سعودي أغمض عينيه وشرع بالصلوات وعندها ألقت بنفسها عليه فبصق نحوها فعادت وبللته بمادة سائلة حمراء كالدم وأبلغته أن ذلك من حيضها (هناك شهادات تفيد أنه حيضها وليس مادّة حمراء، نعم إلى هذه الدرجة الانحطاط الغربي، فهنئيا للمبهورين) في محاولة لحرمانه من الصلاة ثم غادرت الغرفة تاركة إياه باكيا كالطفل.

وبالعودة إلى "أبو غريب" أظهرت الصور أن الجنود قاموا بهذه الجرائم الدنيئة بكل فرح وغبطة، وهو ما يشير إلى نفسيتهم المريضة وأخلاقهم البذيئة وتربيتهم الشنيعة وحضارتهم الدنيئة، فقد قاموا بالتقاط الصور الفوتوغرافية والأفلام المسجلة ورفعوا أصابع الإبهام تعبيرا عن الرضا خلال ارتكابهم لجرائمهم، وتظهر الصور بعض الجنود الأمريكيين واقفين مبتسمين أمام الكاميرا...

* لماذا هذا النوع من التعذيب والممارسات الشاذة؟ وما الهدف منها؟:

إن الأفعال الإجرامية التي ارتكبها الأمريكيون بحق السجناء والمعتقلين الأبرياء والعزّل تكشف نفسيّتهم المريضة وعجزهم عن تحطيم المسلم وفشلهم في مسعاهم لإذلاله.. فقد لجأوا إلى هذه الأفعال ليوهموا أنفسهم أنهم انتصروا وهم فاشلون، ونعتقد أنّهم هم قام بتسريب هذه الصور التي نشرت حول التعذيب في إطار الحرب النفسية لإذلال المسلمين ولتثبيط الروح المعنوية للمقاومة العراقية بعد الانتصارات المدوية التي حققنها في عملياته العسكرية والاستخباراتية... وقد أشار البروفسور الأمريكي "برناردو هيكل" أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة نيويورك أن تعرية الرجال وتكديسهم فوق بعضهم، أو إجبارهم على ممارسة العادة السرية جاء في ضوء قراءة إدارة الاحتلال للتقاليد العربية والإسلامية التي ترفض الإباحية والتعري وتعتبرها منافية للخلق والدين، وبالتالي استخدمت قوات الاحتلال والمخابرات الأمريكية هذا الأسلوب السادي غير الإنساني في التعذيب كوسيلة للتعذيب لانتزاع الاعتراف وكسر إرادة المعتقلين. في حين أكّد عدد من الجنود المتّهمين أنّ المسئولين عنهم وضبّاط الاستخبارات كانوا يقنعونهم أن ما يقومون به من عمليات تعذيب "مهمّة عظيمة"، ويؤكّدون أنّ تعذيب العرب وتعريتهم وانتهاك أعراضهم هي الوسيلة الوحيدة التي تجبرهم على الاعتراف بما ارتكبوه.

* التعذيب الأمريكي مصدر استلهام للأنظمة الأخرى:

أكدت منظمة "هيومان رايتس واتش" في تقرير حديث لها "أن سلوك الولايات المتحدة يجردها من أي حق في أن تعتبر نفسها وصيا على حقوق الإنسان في دول أخرى". وأضاف التقرير أن انتهاكات الولايات المتحدة لحقوق الإنسان، "شجعت بعض الدول الأخرى التي دأبت على انتهاك تلك الحقوق على تبرير مسلكياتها". وأورد التقرير أمثلة لدول "استشهدت" بسلوك الولايات المتحدة واستمرت في ممارساتها التي تتعارض مع حقوق الإنسان:

ففي مصر دافعت الدولة عن تمديدها لقوانين الطوارئ بالإشارة إلى التشريعات المضادة للإرهاب للولايات المتحدة. وفي ماليزيا يبررون الاعتقالات بدون محاكمة بممارسات الولايات المتحدة في جوانتانامو. وتتخذ روسيا من أبو غريب مثالا حين تلقي بالمسؤولية عن انتهاكات قواتها في الشيشان على الجنود ذوي الرتب الصغيرة. وكانت منظمة "هيومان رايتس وتش" لحقوق الإنسان قد أوضحت في تقرير سابق أن "مظاهر الرعب" التي صورت في سجن أبو غريب ببغداد كانت إفرازا لسياسة ترمي إلى الضرب باتفاقيات جنيف عرض الحائط.

* أين التحقيق والمحاسبة؟:

وعلى الرغم من أنّ تقرير "هيومن رايتس وتش" الصادر في 24 نيسان 24 يطالب بمحاكمة كل من رامسفيلد وجورج تينت وسانشيز والجنرال ميلر والتحقيق معهم بموجب مبدأ المسؤولية القيادية، إلا أن التقرير يقول: "تعرض الجنود في المراتب الدنيا إلى اللوم في فضيحة أبو غريب وبسبب ممارسات التعذيب في مناطق أخرى من العالم في حين يبقى كبار القادة بعيداً عن متناول العقاب"، مؤكدا على أن "هذا ليس عدلاً، بكل بساطة" ويضيف التقرير أن "الولايات المتحدة، ورغم هذه الأدلة، قد تعمدت حماية من خططوا لسياسات الاعتقال غير القانونية عبر رفضها السماح بتحقيق مستقل في إساءة معاملة السجناء وعبر امتناعها عن إجراء تحقيق جنائي بحق القادة الذين سمحوا بتنامي واستمرار هذه الإساءات الإجرامية بحق المعتقلين. وفي الوقت الذي أجرت فيه وزارة الدفاع الأميركية عدداً كبيراً من التحقيقات، إلا أنها لم تشرع في تحقيق داخلي يستهدف يتتبع تراتبية المسؤولية القيادية، في حين بدأت المحاكمات بحق الجنود من ذوي الرتب المنخفضة والمتعاقدين فقط".

* ابتكار أساليب ووسائل جديدة للتعذيب لضمان عدم الوقوع في المسؤولية:

لا شكّ أن الجميع أدرك بعد كل هذه التفاصيل أنه لا يمكن للتعذيب أن يكون حالة استثنائية فيما يخص الولايات المتّحدة، وأن التعذيب لديها إستراتيجية محكمة، لها وسائل وطرق تعليم وتدريب، وعلى الرغم من أن الذين يقومون بهذه الجرائم لا يخشون شيئا ولم يوقعوا على كافّة الاتفاقيات التي من شأنها محاسبة جنودهم أو مساءلتهم لعلمهم بجرائمهم إلا أنهم يعتبرون أن الحذر مطلوب. ولهذا فقد شرعوا في ابتكار وسائل جديدة للتعذيب وأماكن سرية لا يجري ملاحقتهم فيها ولا يزعجهم فيها فضول صحفي أو تدخّل منظّمة مستقّلة أو صور قناة تلفاز، ومن هذه الأساليب:

- استخدام الطائرات كمراكز تحقيق مع المعتقلين، حيث لا يوجد أحد يطبّق عليهم أي قانون وهم في السماء ولا أحد يراقبهم، وقد كشفت مجلة 'نيوزويك' الأمريكية الأسبوعية عن أن وكالة المخابرات المركزية(CIA) استخدمت طائرات بوينج 737 في استجواب من تسميهم واشنطن 'الإرهابيين المشتبه فيهم' كجزء من نظام سجن الأشباح العالمي. وكانت تقارير إعلامية عديدة أشارت إلى أن وكالة مخابرات تستخدم طائرة نفاثة تجارية، كمراكز تحقيق، ودعمتها تقارير حديثة بأن طائرة نفاثة صغيرة، كانت جزءا سريا للغاية، ضمن وسائل الاستجواب التي استخدمت في الحرب على 'الإرهاب'.

- تسليم المعتقلين إلى مخابرات في دول العالم الثالث (توصيات جورج تينت)، حيث يتم تعذيبهم دون أن يعلم أحد بمكان وجودهم، وقد أشار عدد من التقارير أن هذه الدول غالبا ما تكون الأردن والسعودية ومصر واليمن وسوريا بالإضافة إلى الدول التي تحتوي قواعد عسكرية أمريكية، والتي لا تخضع لأي قانون أو تلك التي يتم استئجارها على سبيل المثال مثل "غوانتانامو" في كوبا.

- استئجار المرتزقة والتعاقد مع شركات أمنية خاصّة من خارج الجيش مقابل أموال طائلة مما يبعد المسؤولية عن أي قيادي في الجيش الأمريكي ويتيح الفرصة أمام هؤلاء المرتزقة استخدام كافة أنواع التعذيب دون حسيب ورقيب، فهم يكادون يكونون حسب ما قاله تقرير "هيومن رايتس ووتش" الأخير بمأمن تام من أي مساءلة أو عقاب على أفعالهم، لأن شروط عملهم مع الجيش الأمريكي تمنحهم الحصانة من المقاضاة أمام المحاكم وهم لا يخضعون لتسلسل القيادة العسكرية وبالتالي لا تجوز محاكمتهم أمام المحاكم العسكرية ولا الأمريكية.

- اختطاف المعتقلين وإخفائهم عن الأنظار واستخدام أسلوب "الإغراق بالماء" -المعروف في أمريكا اللاتينية باسم "submarino" – وحبس الأطفال (غوانتانامو سجن فيها طفل عمره 9 سنوات وخرج عمره 12 سنة، فهل هذا إرهابي أيضا؟) واعتقالهم وأهاليهم وهدم بيوتهم وقلع أشجارهم ومزروعاتهم (وهو أسلوب صهيوني بامتياز) لإجبار المطلوب على تقديم نفسه والاستسلام. وقد أشار تقرير صادر عن "منظمة هيومان رايتس ووتش" بعنوان: "أشباح المخابرات الأمريكية المحتجزون لفترات طويلة الأمد"، إلى أن أمريكا تستخدم أساليب مألوفة في أوساط الدكتاتوريات القمعية. لكن المحققين ليسوا من بلد دكتاتوري، وإنما من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، السي آي إيه.

ويضيف التقرير : "الإختفاءات" كانت علامة الانتهاك المميزة للدكتاتوريات العسكرية في أمريكا اللاتينية في "الحرب القذرة" ضد التآمر المزعوم. والآن أصبحت تكتيك الولايات المتحدة في صراعها مع القاعدة، ويضم سجناء السي آي إى "المختفين" أبو زبيده، مساعد مقرب لأسامة بن لادن، ورمزي بن الشيب الذي ربما كان أحد المختطِفين في 9/11 لولا فشله في الحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة، وحمبلي وهو أحد حلفاء القاعدة الأساسيين في جنوب شرق آسيا، وعبد الرحمن الناشري الذي يزعم بأنه العقل المدبر وراء تفجير المدمرة كول.

ووفقاً لـ"الفريق المستقل لتقييم عمليات السجن لوزارة الدفاع" الذي يترأسه وزير الدفاع السابق جيمس شلسينجر، فقد صُرح للسي آي أى "بالعمل وفقاً لقواعد مختلفة" عن تلك السارية على الجيش الأمريكي. وانبثقت هذه الأنظمة جزئياً من مذكرة من وزارة العدل في آب/أغسطس 22 رداً على طلب من السي آي إى لتلقي إرشادات، حيث نصت المذكرة على أن تعذيب معتقلي القاعدة "قابل للتبرير" وأن القوانين الدولية ضد التعذيب "قد تكون غير دستورية إذا تم تطبيقها في عمليات التحقيق" التي تتم في سياق الحرب ضد الإرهاب.

* نماذج من التعذيب المستخدم من قبل "العالم المتمدن" في أبو غريب:

وتعجز الكلمات عن وصف هول جرائم التعذيب التي مارستها قوات الاحتلال الأمريكي في سجن ابو غريب في العراق، والتي لو ارتكبتها أي دولة من دول البلدان النامية والعالم الثالث، لكان رد الفعل الدولي وبالذات الأمريكي والأوروبي الإدانة والتنديد والإجراءات العقابية للنظام المعني، بل وقد يصل الأمر إلى تحرير ذلك البلد دفاعا عن الإنسانية!!، ولكانت الإدارة الأمريكية تحدثت عن تفوقها الأخلاقي والحضاري كونها "رائدة العالم الحر". وأتذكّر في هذا المجال كيف راحت المنظّمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتّحدة، والدول الأخرى لاسيما أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول تتحدّث عن تفوّقها وسموّها الحضاري ودفاعها عن حقوق الإنسان وحتى الحيوان وتتّهم المسلمين بالتخلّف والانحطاط، حيث قامت الدنيا ولم تقعد لمجرّد أنّ نظام طالبان وضع دبّابة أمام "تمثال حجري" (مع العلم أن الهدف من قيام طالبان بذلك لفت انتباه العالم إلى تلك الدولة والحصار المفروض عليها ليقولوا إننا هنا لماذا لا يسمع أحد؟ ويبدو أنّ الجميع قد سمع ورأى حينها، ولكن من الزاوية الأمريكية) أمّا الجرائم في سجون أبو غريب وغوانتنامو وأفغانستان (لا نتكلم عن كل الجرائم، فهي أكبر من أن تذكر أو أن تحتويها الكتب والمجلدات بل المكتبات) فهي مسألة لا تتعدى الاعتذار كحد أقصى، ثمّ تعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل، لا بل تستكمل عمليات التعذيب والاعتقال والاغتصاب والشذوذ والهتك التي تعبّر عن الحضارة الغربية ومجتمعاتها المنحلّة أخلاقيا إلى درجة الانحطاط في الدرك الأسفل بين جميع أمم و شعوب الأرض لدرجة يندى لها جبين الإنسانية والتاريخ. فضرب تمثال حجري أمر لا يغتفر.....ولكنّ التعذيب الأمريكي (على النحو الذي سننقله) بحق الشعب المسلم مسألة فيها نظر، ومهما قلنا فلن نعبّر عن جزء بسيط جدّا ممّا جرى، ولكن لتوضيح الصورة أكثر ننقل لكم بعض طرق وأشكال وأساليب التعذيب التي تمّ إتباعها في "ابو غريب" وأمثاله:

فقد كشف تقرير أعده الجنرال الأمريكي أنطونيو ثاغوبا ونشرته مجلة نيويوركر (العام الماضي) عن اعتداءات وممارسات سادية بشكل ممنهج ضد المعتقلين العراقيين، بعد أن كانت شبكة سي.بي. إس التلفزيونية الأمريكية وصحيفة الواشنطن بوست أوّل من كشفتا النقاب وبالصور عن عمليات التعذيب غير الأخلاقية والساديّة التي تمارسها قوات الاحتلال الأمريكية ضد المعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب، و يقول التقرير: حدثت ممارسات سادية وجرائم في سجن أبو غريب بين شهر تشرين أول وشهر كانون أول من العام الماضي، وقام بهذه الممارسات جنود من كتيبة الشرطة العسكرية رقم 372 وعدد من عناصر أجهزة المخابرات الأمريكية و انتهاكات كبيرة منها:

- كسر الأضواء الكيماوية وسكب السائل على المعتقلين.

- سكب المياه الباردة والساخنة على المعتقلين بعد تعريتهم.

- ممارسة اللواط بحق المعتقلين وإجبارهم على تمثيل مظاهر جنسية ضد بعضهم البعض.

- إجبارهم على ممارسة العادة السرية.

- تعرية المعتقلين وإجبارهم على النوم فوق بعض

- إدخال أضواء كيماوية في دبر المعتقلين

- إبقاء المعتقلين عراة لعدة أيام

- ضرب المعتقلين بمقابض المكانس والكراسي

- إجبارهم على التعري ولبس ملابس نسائية داخلية

- ربط رقاب المعتقلين وهم عراة بحبل وجرهم وهم مقيدين

- حرمانهم من النوم

- استخدام الكلاب العسكرية لترويع المعتقلين وعضهم

- اغتصاب النساء المعتقلات.

وقد أضاف سيمون هيرش في تقريره في (1-5-24) على هذه الأنواع من التعذيبات نوع آخر نقلا عن ثاغوبا أيضا و منها:

- سكب سوائل فسفورية على المحتجزين

- ضرب المحتجزين بالكراسي و المطارق اليدوية

- السماح للحرس بغرز الجراح الجديدة نتيجة التعذيب

- ضرب السجناء بجدران السجن

- انتهاك عرض المساجين بكافة الطرق لاسيما إدخال عصي المقشات في دبر المعتقلين

- ربط الأماكن الحساسة للمعتقلين بالأسلاك الكهربائية والتهديد بتشغيلها.

وينقل إضافة إلى ذلك شهادتين عن مجندين حضروا التعذيب، فيقول الأوّل: رأيت زملائي وقد أجبروا محتجزين عراقيين على التعري وغطّوا رؤوسهم وأجبروا أحدهم على الاستمناء والآخر على فتح فمه، ثمّ قالوا لي "هل ترى ماذا تفعل هذه الحيوانات عندما نتركها لبضع دقائق؟!". هذا فيما قال الثاني: لقد تعرّض أحد المعتقلين المصنف على أنه خطير جدا إلى ضرب مبرح على أيدي رجال الاستخبارات، وأدى ذلك إلى موته، وبدلا من التعريف به وإعطائه رقم السجين، تمّ وضعه في كيس مليء بالثلج ثمّ أخذوا يلتقطون الصور معه!!

هذا ولم يعتمد جنود التحرير الأمريكي على قدراتهم الخاصّة بالتعذيب فقط، بل واستجاروا بأساتذة التعذيب الصهاينة واستأجروا المستشارين منهم والمعذّبين والمحققين ليشاركوهم ساديّتهم وحقدهم على المسلمين، فقد أكّد عدد من المعتقلين العراقيين الذين أطلق سراحهم من "أبو غريب" أنهم خضعوا للتحقيق أمام رجال الموساد، وقد عرفوا ذلك من خلال نوعية الأسئلة التي كانوا يطرحونها عليهم وعن مناطق وأماكن عراقية كانت تضم معالم يهودية مقدسة واستطاع بعضهم وخاصّة المضطلع على اللغة العبرية تمييزها في أثناء حديث المحققين فيما بينهم، على الرغم من حرصهم التحدّث بالانجليزية في غالب الأحيان، ولا نستبعد ذلك أبدا خاصّة أن هذا حصل حتى في غوانتانامو، فقد ذكرت "اورلي ازولاي كاتس" الإسرائيلية في تقرير لها نشر في صحيفة يدعوت أحرنوت 2/25/ 25 أن المحققين الأميركيين حاولوا كسر إرادة أسير سوداني في غوانتانامو من خلال إلباسه العلم الإسرائيلي عنوة، فيما قاموا بربط أسرى آخرين بأيديهم وأرجلهم حتى غرقوا ببولهم وبرازهم طيلة 18 إلى 24 ساعة. وأكد التقرير أن الأسرى العرب والمسلمين هناك لا يعلمون هوية مكان اعتقالهم ما يمكن المحققين الأميركيين بتهديد من يرفض الإدلاء بمعلومات حول القاعدة خلال استجوابه بتسليمه للإسرائيليين من خلال نقله إلى ثكنة مجاورة يرفع فيها العلم الإسرائيلي مسبقا، لافتة إلى أن الطريقة "مجدية". وأفاد التقرير أن مترجمًا أمريكيا عمل في المعتقل يعدّ كتابا يكشف فيه المزيد من فظاعات غوانتانامو منها مهاجمة

الأسرى بغاز الفلفل وقيام محققة بخلع ملابسها أثناء التحقيق مع أسير سعودي أغمض عينيه وشرع بالصلوات وعندها ألقت بنفسها عليه فبصق نحوها فعادت وبللته بمادة سائلة حمراء كالدم وأبلغته أن ذلك من حيضها (هناك شهادات تفيد أنه حيضها وليس مادّة حمراء، نعم إلى هذه الدرجة الانحطاط الغربي، فهنئيا للمبهورين) في محاولة لحرمانه من الصلاة ثم غادرت الغرفة تاركة إياه باكيا كالطفل.

وبالعودة إلى "أبو غريب" أظهرت الصور أن الجنود قاموا بهذه الجرائم الدنيئة بكل فرح وغبطة، وهو ما يشير إلى نفسيتهم المريضة وأخلاقهم البذيئة وتربيتهم الشنيعة وحضارتهم الدنيئة، فقد قاموا بالتقاط الصور الفوتوغرافية والأفلام المسجلة ورفعوا أصابع الإبهام تعبيرا عن الرضا خلال ارتكابهم لجرائمهم، وتظهر الصور بعض الجنود الأمريكيين واقفين مبتسمين أمام الكاميرا...

* لماذا هذا النوع من التعذيب والممارسات الشاذة؟ وما الهدف منها؟:

إن الأفعال الإجرامية التي ارتكبها الأمريكيون بحق السجناء والمعتقلين الأبرياء والعزّل تكشف نفسيّتهم المريضة وعجزهم عن تحطيم المسلم وفشلهم في مسعاهم لإذلاله.. فقد لجأوا إلى هذه الأفعال ليوهموا أنفسهم أنهم انتصروا وهم فاشلون، ونعتقد أنّهم هم قام بتسريب هذه الصور التي نشرت حول التعذيب في إطار الحرب النفسية لإذلال المسلمين ولتثبيط الروح المعنوية للمقاومة العراقية بعد الانتصارات المدوية التي حققنها في عملياته العسكرية والاستخباراتية... وقد أشار البروفسور الأمريكي "برناردو هيكل" أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة نيويورك أن تعرية الرجال وتكديسهم فوق بعضهم، أو إجبارهم على ممارسة العادة السرية جاء في ضوء قراءة إدارة الاحتلال للتقاليد العربية والإسلامية التي ترفض الإباحية والتعري وتعتبرها منافية للخلق والدين، وبالتالي استخدمت قوات الاحتلال والمخابرات الأمريكية هذا الأسلوب السادي غير الإنساني في التعذيب كوسيلة للتعذيب لانتزاع الاعتراف وكسر إرادة المعتقلين. في حين أكّد عدد من الجنود المتّهمين أنّ المسئولين عنهم وضبّاط الاستخبارات كانوا يقنعونهم أن ما يقومون به من عمليات تعذيب "مهمّة عظيمة"، ويؤكّدون أنّ تعذيب العرب وتعريتهم وانتهاك أعراضهم هي الوسيلة الوحيدة التي تجبرهم على الاعتراف بما ارتكبوه.

* التعذيب الأمريكي مصدر استلهام للأنظمة الأخرى:

أكدت منظمة "هيومان رايتس واتش" في تقرير حديث لها "أن سلوك الولايات المتحدة يجردها من أي حق في أن تعتبر نفسها وصيا على حقوق الإنسان في دول أخرى". وأضاف التقرير أن انتهاكات الولايات المتحدة لحقوق الإنسان، "شجعت بعض الدول الأخرى التي دأبت على انتهاك تلك الحقوق على تبرير مسلكياتها". وأورد التقرير أمثلة لدول "استشهدت" بسلوك الولايات المتحدة واستمرت في ممارساتها التي تتعارض مع حقوق الإنسان:

ففي مصر دافعت الدولة عن تمديدها لقوانين الطوارئ بالإشارة إلى التشريعات المضادة للإرهاب للولايات المتحدة.

وفي ماليزيا يبررون الاعتقالات بدون محاكمة بممارسات الولايات المتحدة في جوانتانامو.

وتتخذ روسيا من أبو غريب مثالا حين تلقي بالمسؤولية عن انتهاكات قواتها في الشيشان على الجنود ذوي الرتب الصغيرة. وكانت منظمة "هيومان رايتس وتش" لحقوق الإنسان قد أوضحت في تقرير سابق أن "مظاهر الرعب" التي صورت في سجن أبو غريب ببغداد كانت إفرازا لسياسة ترمي إلى الضرب باتفاقيات جنيف عرض الحائط.

* أين التحقيق والمحاسبة؟:

وعلى الرغم من أنّ تقرير "هيومن رايتس وتش" الصادر في 24 نيسان 24 يطالب بمحاكمة كل من رامسفيلد وجورج تينت وسانشيز والجنرال ميلر والتحقيق معهم بموجب مبدأ المسؤولية القيادية، إلا أن التقرير يقول: "تعرض الجنود في المراتب الدنيا إلى اللوم في فضيحة أبو غريب وبسبب ممارسات التعذيب في مناطق أخرى من العالم في حين يبقى كبار القادة بعيداً عن متناول العقاب"، مؤكدا على أن "هذا ليس عدلاً، بكل بساطة" ويضيف التقرير أن "الولايات المتحدة، ورغم هذه الأدلة، قد تعمدت حماية من خططوا لسياسات الاعتقال غير القانونية عبر رفضها السماح بتحقيق مستقل في إساءة معاملة السجناء وعبر امتناعها عن إجراء تحقيق جنائي بحق القادة الذين سمحوا بتنامي واستمرار هذه الإساءات الإجرامية بحق المعتقلين. وفي الوقت الذي أجرت فيه وزارة الدفاع الأميركية عدداً كبيراً من التحقيقات، إلا أنها لم تشرع في تحقيق داخلي يستهدف يتتبع تراتبية المسؤولية القيادية، في حين بدأت المحاكمات بحق الجنود من ذوي الرتب المنخفضة والمتعاقدين فقط".

* ابتكار أساليب ووسائل جديدة للتعذيب لضمان عدم الوقوع في المسؤولية:

لا شكّ أن الجميع أدرك بعد كل هذه التفاصيل أنه لا يمكن للتعذيب أن يكون حالة استثنائية فيما يخص الولايات المتّحدة، وأن التعذيب لديها إستراتيجية محكمة، لها وسائل وطرق تعليم وتدريب، وعلى الرغم من أن الذين يقومون بهذه الجرائم لا يخشون شيئا ولم يوقعوا على كافّة الاتفاقيات التي من شأنها محاسبة جنودهم أو مساءلتهم لعلمهم بجرائمهم إلا أنهم يعتبرون أن الحذر مطلوب.

ولهذا فقد شرعوا في ابتكار وسائل جديدة للتعذيب وأماكن سرية لا يجري ملاحقتهم فيها ولا يزعجهم فيها فضول صحفي أو تدخّل منظّمة مستقّلة أو صور قناة تلفاز، ومن هذه الأساليب:

- استخدام الطائرات كمراكز تحقيق مع المعتقلين، حيث لا يوجد أحد يطبّق عليهم أي قانون وهم في السماء ولا أحد يراقبهم، وقد كشفت مجلة 'نيوزويك' الأمريكية الأسبوعية عن أن وكالة المخابرات المركزية(CIA) استخدمت طائرات بوينج 737 في استجواب من تسميهم واشنطن 'الإرهابيين المشتبه فيهم' كجزء من نظام سجن الأشباح العالمي. وكانت تقارير إعلامية عديدة أشارت إلى أن وكالة مخابرات تستخدم طائرة نفاثة تجارية، كمراكز تحقيق، ودعمتها تقارير حديثة بأن طائرة نفاثة صغيرة، كانت جزءا سريا للغاية، ضمن وسائل الاستجواب التي استخدمت في الحرب على 'الإرهاب'.

- تسليم المعتقلين إلى مخابرات في دول العالم الثالث (توصيات جورج تينت)، حيث يتم تعذيبهم دون أن يعلم أحد بمكان وجودهم، وقد أشار عدد من التقارير أن هذه الدول غالبا ما تكون الأردن والسعودية ومصر واليمن وسوريا بالإضافة إلى الدول التي تحتوي قواعد عسكرية أمريكية، والتي لا تخضع لأي قانون أو تلك التي يتم استئجارها على سبيل المثال مثل "غوانتانامو" في كوبا.

- استئجار المرتزقة والتعاقد مع شركات أمنية خاصّة من خارج الجيش مقابل أموال طائلة مما يبعد المسؤولية عن أي قيادي في الجيش الأمريكي ويتيح الفرصة أمام هؤلاء المرتزقة استخدام كافة أنواع التعذيب دون حسيب ورقيب، فهم يكادون يكونون حسب ما قاله تقرير "هيومن رايتس ووتش" الأخير بمأمن تام من أي مساءلة أو عقاب على أفعالهم، لأن شروط عملهم مع الجيش الأمريكي تمنحهم الحصانة من المقاضاة أمام المحاكم وهم لا يخضعون لتسلسل القيادة العسكرية وبالتالي لا تجوز محاكمتهم أمام المحاكم العسكرية ولا الأمريكية.

- اختطاف المعتقلين وإخفائهم عن الأنظار واستخدام أسلوب "الإغراق بالماء" -المعروف في أمريكا اللاتينية باسم "submarino" – وحبس الأطفال (غوانتانامو سجن فيها طفل عمره 9 سنوات وخرج عمره 12 سنة، فهل هذا إرهابي أيضا؟) واعتقالهم وأهاليهم وهدم بيوتهم وقلع أشجارهم ومزروعاتهم (وهو أسلوب صهيوني بامتياز) لإجبار المطلوب على تقديم نفسه والاستسلام. وقد أشار تقرير صادر عن "منظمة هيومان رايتس ووتش" بعنوان: "أشباح المخابرات الأمريكية المحتجزون لفترات طويلة الأمد"، إلى أن أمريكا تستخدم أساليب مألوفة في أوساط الدكتاتوريات القمعية.

لكن المحققين ليسوا من بلد دكتاتوري، وإنما من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، السي آي إيه.

ويضيف التقرير "الإختفاءات" كانت علامة الانتهاك المميزة للدكتاتوريات العسكرية في أمريكا اللاتينية في "الحرب القذرة" ضد التآمر المزعوم. والآن أصبحت تكتيك الولايات المتحدة في صراعها مع القاعدة، ويضم سجناء السي آي إى "المختفين" أبو زبيده، مساعد مقرب لأسامة بن لادن، ورمزي بن الشيب الذي ربما كان أحد المختطِفين في 9/11 لولا فشله في الحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة، وحمبلي وهو أحد حلفاء القاعدة الأساسيين في جنوب شرق آسيا، وعبد الرحمن الناشري الذي يزعم بأنه العقل المدبر وراء تفجير المدمرة كول.

ووفقاً لـ"الفريق المستقل لتقييم عمليات السجن لوزارة الدفاع" الذي يترأسه وزير الدفاع السابق جيمس شلسينجر، فقد صُرح للسي آي أى "بالعمل وفقاً لقواعد مختلفة" عن تلك السارية على الجيش الأمريكي. وانبثقت هذه الأنظمة جزئياً من مذكرة من وزارة العدل في آب/أغسطس 22 رداً على طلب من السي آي إى لتلقي إرشادات، حيث نصت المذكرة على أن تعذيب معتقلي القاعدة "قابل للتبرير" وأن القوانين الدولية ضد التعذيب "قد تكون غير دستورية إذا تم تطبيقها في عمليات التحقيق" التي تتم في سياق الحرب ضد الإرهاب.

للعودة للأعلى